التواصل اللساني

د. أحمد مكاوي
ذ. اللغة العربية بوزارة التربية والتكوين
المغرب

مقدمة:

يعتبر التواصل الأساس الرئيس في العلاقات القائمة بين الأطراف المتواصلة ذلك بأنه يفتح قنوات للتبادل المعرفي بين الأفراد والجماعات بشكل يضمن استمرار العلاقات وتماسكها، ابتداء من المرسل، وانتهاء عند مستقبل الرسالة، عبر دورة كلامية قائمة على التشارك بالدرجة الأولى .

إن التواصل الفعال يقوم اليوم كأبرز إشكال في عالم يعرف تقدما سريعا في وسائل الاتصال والتواصل والإعلام. ومن المفترض في هذا التقدم أن يسمح بالحوار والاختلاف والتعدد، وأن يزرع ثقافة التواصل والإقناع بعيدا عن كل أنماط التوجيه والهيمنة .

وتأسيسا على هذا يتعاظم الإحساس بوعي حاد بأهمية ثقافة التواصل لأنها تستنبت بديلا معرفيا وإنسانيا في منأى عن العنف والتطرف والأحادية، أي أن الرهان يقوم في المقام الأول على الجانب الاجتماعي الذي يهدف ضمن ما يهدف إليه على تجاوز الانفصال بين البشر – نحو أفق الاتصال. كما ينطوي ذلك أيضا على إعادة الاعتبار للوظيفة الاجتماعية التي تؤديها اللغة الإنسانية، ذلك بأنها تلعب دورا مهما في تقوية الروابط بين الأفراد والجماعات، وتسمح بالطلب والحصول على ما نريد، اعتمادا على معارف لغوية وكفاءات إنسانية عامة ليست لغوية فقط .

ومن اللافت للنظر أن نسجل أن الثقافة الغربية قد نزعت نزوعا حادا نحو دراسة التواصل وتأسيس نظرياته وتعميق مباحثه، وذلك على يد جمهرة من الباحثين اختلفت مواردهم العلمية.

نعم، إن التواصل بما هو مفهوم علمي نشأ أول ما نشأ في العلوم الحقة، لدى كلود شانون (Claude Chanon) الذي بين كيف يتأتى للأجهزة والروابط الكهربائية أن تعبر عن المعادلات والبراهين الحملية. ثم جاء من بعده ويفر، فطمح إلى الانتقال بمفهوم التواصل من دائرته التقنية إلى إطاره الإنساني .

ثم إن العودة إلى سوسير تقفنا على أن الرجل بما هو باحث لغوي، قد أفلح فلاحا ظاهرا في إثارة جملة من القضايا التي لها علقة بمفهوم التواصل.

ولم يكن جاكبسون ليتخلف عن هذا اللفيف المقرون من الباحثين، فقد أثرى نظرية التواصل بمفاهيم تعد بحق إنجازات متقدمة في ميدان التواصل.

وما كان لبحوث نظرية التواصل أن تنقطع، بل تواصل البحث مع جملة من العلماء الأعلام مثل أندري مارتيني وإميل بنفنست وشارل موريس وجريماس.

كانت هذه إطلالة عجلى، الغرض منها الإشارة والإلماع إلى تطور البحث في نظرية التواصل لدى الأمم الغربية. بيد أن سؤالا يلوح في هذا المقام ويلح في طلب الإجابة هو: هل عرف العرب شيئا من مفاهيم التواصل ضمن ما عالجوه من البحوث والأعمال العلمية؟

المبحث الأول: التواصل مفهومه وأشكاله وقنواته.

1- مفهوم التواصل:

يحسن بنا في هذا المبحث أن نبدأ بتعريف معجمي للتواصل لنقف على أصول الكلمة، ومما يمكن أن نقرأه في هذا الاتجاه ما جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس حيث يقول: "الواو والصاد اللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلق. ووصلته به وصلا .

والوصل: ضد الهجران وموصل البعير ما بين عجزه وفخده. والواصلة في الحديث: التي تصل شعرها بشعر آخر زورا ويقول: وصلت الشيء وصلا، والموصول به وصل بكسر الواو. ومن الباب الوصيلة العمارة والخصب، لأنها تصل الناس بعضهم ببعض، وإذا أجذبوا تفرقوا. والوصيلة الأرض الواسعة، كأنها وصلت فلا تنقطع[1].

وفي لسان العرب نجد أن " وصل الشيء إلى الشي وتوصل إليه: انتهى إليه وبلغه. ووصله إليه وأوصله: أنهاه إليه وأبلغه إياه، والتواصل ضد التصارم [2].

نفهم من خلال هذه النصوص المعجمية أن مادة "تواصل" تفيد حدوث المشاركة في الفعل بين طرفين:

توصل ⟵ ⟶ تواصل

وليس يقف معنى التواصل عند هذا الحد، بل يتجاوزه ليفيد معاني أخرى هي :

- استمرار العلاقة بين اثنين .
- انفتاح الذات على ذوات .
- عدم انقطاع العلاقة بين الأطراف المتواصلة .

ولعل هذا ما يشير إليه الباحث حميدي محمد حين قال: إن التواصل هو عبارة عن علاقة تفاعل نفعي متبادل بين طرفين (أو أكثر) تحكمها مجموعة من الضوابط النفسية والسياقية والاجتماعية ذات التأثير الفعال والموجه لتلك العلاقة، وهو الشيء الذي يصبح معه من جهة أخرى المضمون الاصطلاحي للتواصل بمثابة ذلك المفهوم الذي يحمل معنى السلوك الاجتماعي و النشاط النفسي والمعرفي الذي يحدد العلاقات التفاعلية المتبادلة بين الأفراد والجماعات ويؤطرها، الأمر الذي يفسر الاهتمام الكبير بقضايا وامتدادات مفهوم التواصل ومحدداته النفسية والاجتماعية والعقلية[3].

وتأسيسا على ذلك يمكن اعتبار التواصل مبحثا سيكوسوسيولوجيا بامتياز لانفتاحه على مجالات هي:

- المعلوماتية .
- السيميوتداولية .

وباعتبار هذه العلاقة يصبح لمفهوم التواصل دلالات عدة هي :

- دينامية التفاعل interaction
- التشارك coaction

- الحضور المشترك coprésence

وجدير بالذكر هنا، أن هذه الدلالات تتحقق جميعها في العلاقة التواصلية ببعديها

الزماني والمكاني. على أن الانسان يبقى المنطلق والمنتهى في كل تفاعل تواصلي

(Interaction communicationnel)

ويرى جوزيف دو فيتو أن التواصل يتحقق عندما نرسل ونستقبل رسائل، وعندما نعطي دلالة لعلامة الشخص الآخر. ويحدث تأثيرا، ويكون له إمكان الانعكاس[4].

إن التواصل من خلال ما تقدم نوع من أنماط السلوك الاجتماعي / الفردي، لأنه يتفق مع الميل الغريزي لدى الكائن الحي لتحقيق الاندماج مع الجماعة، تلك الجماعة التي لا يمكن أن نعزل عنها الانسان بحكم حاجته إليها ضمن شبكة من العلاقات المترابطة بين الأفراد الاجتماعيين، ذلك بأن وجودنا على الأرض وحده كاف لأن يفرض علينا الانخراط ضمن عجلة التواصل كيفما كانت طبيعة هذا التواصل اختيارية أو مفروضة[5].

2 -التواصل: أشكاله.

لما كان التواصل فعلا قائما على التفاعل، فإنه بالضرورة أشكالا متنوعة. وذلك اعتمادنا على عدد الأشخاص المشاركين في الحدث التواصلي؛ فهناك بدءا التواصل المنولوجي الذاتي، ثم التواصل الديالوجي/ الغيري، وكلاهما يتحدد ضمن حقول تواصلية متنوعة تتخذ مظاهر ذات نوايا متباينة. كما أنهما معا يصادفان عوائق تجعل الفعل التواصلي فعلا ضعيفا. هشا وأظن ظنا يوشك أن يكون يقينا أن أبرز من لمس الحقيقة في هذا هو الباحث (Joseph A DEVITO) وذلك من خلال خطاطة نموذجية صاغها في هذا الصدد وهي[6].

حقول التواصل الإنساني	النوايا المعتادة	بعض النماذج النظرية	بعض العوائق تعترض قدرات التواصل
ذاتي: تواصلي الذات مع	-فكر -حلل -عقلن -تأمل	-كيف يتطور الشعور بالانا؟ -ما هو أثرها على التواصل؟ كيف نتعلم ونطور تقنيات تحليل وحل القضايا؟ ماهي العلاقة بين الشخصية بين الشخصية - والتواصل؟	-الرفع من مستوى الأنا . -الرفع من مستوى الأنا. -تطوير تقنيات التحليل وحل المشاكل -التقليل من الضغط -تدبير معالجة خلاف ذاتي

بينشخصي: تواصل بين اثنين	-علم -تبادل -أثر -لعب -ساعد	-ما معنى الفعالية البينشخصية؟ -لماذا ينسج الناس علاقات؟ -لماذا ينسج الناس علاقات؟ -ما الذي الأصدقاء والعشاق الأسر؟--وما الذي يفرقهم؟ -كيف نعيد نسج العلاقات؟	الرفع من إشكالية التواصل بين شخص وآخر . -التطور والحفاظ على علاقات جيدة :(صدقات، مودات، أسر). - تحسين قدرات حل المشاكل
مجموعة صغيرة من الاشخاص	-تبادل معلومات -البحث عن أفكار -حل المشاكل -ساعد	من هو القائد؟ أي نوع من القيادات أنجع؟ فيم يظهر نجاح هذه الجماعات؟ -وأين يظهر فشلها؟ -كيف تطور فعالية الجماعات؟	تطوير قدرات القيادة؟ كيف تطور فعالية الجماعات؟ (مثال: حل المشاكل، والبحث عن أفكار).
الجمهور: تواصل الخطيب مع المستمعين	أخبر أقنع رفه سلى	-ماهي البنى التنظيمية الناجعة في مزيد من الدقة في الخطابين الاخباري والإقناعي؟ -كيف نصوغ تحليلا دقيقا للمستمعين؟ ما هي أحسن طريقة لعرض الأفكار التي نريد تبليغها إلى جمهور مستمع؟؟	مزيد من الدقة في توصيل المعلومات. تطوير تقنيات الإقناع. تنظيم وإعداد وإرسال أحسن طريقة لعرض الرسائل بطريقة أكثر فعالية .

إن ما يحمد للباحث جوزيف دو فيتو، أنه وسع من أشكال التواصل، ومضى بها إلى أبعد أشكالها دقة، بل إنه وضع حدود فاصلة بين كل أشكال التواصل، بخلاف آخرين الذين أدرجوا اتصال الشخص بآخرين ضمن الاتصال المونولوجي، ولعل هذا ما يشي به قول الدكتور محمد العبد حين قال:" في الاتصال المونولوجي، يوجد مرسل واحد فقط، هو الذي يعطي المعلومة، وينقسم هذا الاتصال بدوره إلى :

أ -اتصال الشخص بذاته Interpersonnel

ب–اتصال الشخص بآخرين[7] Interpersonnel /

3 –التواصل: قنواته.

إن الواقع عالم موار بالجديد، ولما كان الأمر على هذا النحو كان لا بد أن يطور التواصل قنوات في خضم التنافس والرغبة في نشر الخطاب إلى أوسع رقعة، من أجل حشد أكبر عدد من المستعملين، إذ يكفي ملاحظة التحول الذي طرأ على حياة الأفراد اليومية من خلال التواصل عن طريق الهاتف المتنقل وشبكة الأنترنيت في يومنا هذا "[8]

وعموما يمكن التمييز بين أربع قنوات رئيسية هي :

أ–القناة اللمسية وتعتمد اللمس جهازا للاستقبال

ب–القناة الشمية ويتم عن طريق حاسة الشم .

ج–القناة البصرية ويتم فيها الاتصال بطريقة غير لفظية، وفيها يتم استغلال الجسم

حركاته وأوضاعه وسائر تعبيراته .

د–القناة السمعية وأساسها الأصوات، وتتم عبر الكلام الملفوظ .

إنها قنوات رئيسية في التواصل، وتشغيل إحداها لا يعني بالضرورة إلغاء قناة أخرى، طالما أن القناة التواصلية "تكتسي أبعادا إقناعية استدلالية، بحكم ما تتمتع به من كفاءة

الربط، بدرجات معينة من الوثاقة بين المعلومات القديمة والجديدة وتسخيرها وتقديمها للمستهلك[9].

إن القناة مطلب بالغ الأهمية، إذ هي التي تساهم في نجاح عملية انتشار الرسائل، بل إنها ترفع درجة التواصل وتمضي به في اتجاهات قوية أو ضعيفة، فعالة أو عديمة الفعالية .

هكذا إذن نكون قد ألممنا بأطراف الحديث عن مفهوم التواصل بما هو مجال من المجالات التي حظيت باهتمام علماء الانسانيات، كما عرجنا على بيان أشكاله التي يصطبغ بها في كل فعل تواصلي يروم إقامة جسور تفاعلية بين الأطراف المتواصلة عبر قنوات يفترض فيها التعدد على أنه تعدد لا يعني بالضرورة تضادا وتنافرا، وتقطيبا، بل إنه تعدد متكامل ومثمر وفعال. وقد يكون الكلام توطئة منطقية للحديث عن جذور نظرية التواصل، وتتبع مراحل نشوئها وارتقائها واستقرارها لدى علماء اللغة .

4– التواصل في العلوم الحقة: شانون و ويفر.

يمكن القول: إن التواصل بما هو نظرية، يجد أصوله الأولى في ميدان العلوم الحقة بخاصة الفيزياء والرياضيات، ولكن الإسهامات الأكثر أهمية تعود إلى تعاون رياضيي ومهندسي الاتصالات اللاسلكية، مما جعلهم يكشفون أن الخصوصيات النظرية لكل نسق من العلامات المستعملة من لدن الكائنات حية أو تقنية لها غايات تواصلية، وبتحديدهم هذا المجال في البحث يكون منظرو التواصل قد عالجوا من منظور جديد بعض مظاهر التواصل اللساني"[10].

على أنه ينبغي في هذا الصدد أن نذكر جهود العالم الأمريكي كلود شانون (Claude Chanôn سنة 1939، الذي أخرج للناس مقالا بعنوان: "التحليل الرمزي للوسائط"، حاول أن يبين فيه كيف يتأتى للأجهزة والروابط الكهربائية أن تعبر عن المعادلات والبراهين الحملية .

وقد استمر هذا الباحث في تعميق جهوده في ميدان الاتصال، حتى إنه كتب مقالة تعتبر منعطفا علميا مهما في بحوث الاتصال، وكان عنوانها "النظرية الرياضية للتواصل". وأهم ما يحمد لهذا الإنجاز العلمي، هو أن شانون وصديقه ويفر قارنا كلمة " تواصل" بمعاني متقاربة هي :

- الإخبار .
- الإعلام .
- –انتشار الأخبار. (Circulation de L'information)

والحق أن هذا المقال يمتاز بميزة أخرى، وهي أنه استطاع أن يعطي مفهوما للتواصل بما هو نسق يستند إليه فكر معين ليحدث تأثيرا في الغير، وانطلاقا من هذا مضى شانون (Chanon ليصنف التواصل الآلي في ثلاثة أنماط :

- نظام من التواصل المتقطع التلغراف
- نظام من التواصل المتصل المذياع .
- نظام من التواصل يجمع بين الاتصال والانفصال التواصل العسكري.

إنه إذا كان شانون (Chanon) قد حدد التواصل الآلي في الأنماط الثلاثة السابقة، فإن زميله ويفر قد دفع بالبحث في التواصل خطوة إلى الأمام ذلك بأنه "استبدل بأجهزة التواصل الآلية، التواصل البشري عبر اللغة أولا، ثم انطلق منها إلى القول بأن ما يصدق على هذا التواصل ينطبق على غيره من أنواع النشاط الإنساني[11].

5–التواصل في العلوم الإنسانية (اللغة).

لقد حاول ويفر أن يمتد ببحوثه من الإطار التقني المحض إلى المجال الإنساني، بل إنه فكر في أن يخضع له كل سلوك إنساني كيفما كان شكله، ومن ثم أصبح لديه الكلام المنطوق والمكتوب ثم الموسيقى والرسم والمسرح والرقص، كلها أشكال من التواصل. وكان من نتائج ذلك أنهما اقترحا خطاطة تحدد مدارات العملية التواصلية، وذلك على النمط الآتي:

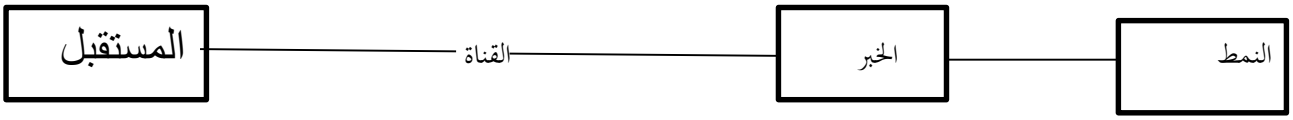

بيد أن ما يميز خطاطة شانون (Chanon) هو تركيزها على خانة الخبر فنجاح الإرسالية أو فشلها مرتبط بسلامة ووضوح الكم الخبري المبثوث، ولا علاقة لهذا الخبر بمحفلي البث والتلقي، ذلك أن الخبر في تصور شانون لا يقاس بالكم المعلوماتي، ولا يستدعي حالة انفعالية لحظة البث أو التلقي عند طرف من الأطراف المنخرطة في التواصل، كما لا يفترض لبسا أو غموضا في دلالات الإرسالية، إن الخبر عنده وحدة إحصائية مجردة تتعامل مع الإرسالية في انفصال عن دلالاتها[12]"

لم يكن غرضنا في هذه التوطئة الوقوف عند كل المنعطفات التاريخية التي عرفها مفهوم التواصل في ميدان العلوم الحقة، فذلك مطلب تتبعه كثير من الدارسين عربا وعجما. ولكن القصد كان الإيماء إلى النشأة الأولى حتى نعرف جميعا أن المنشأ

كان في العلوم الحقة ثم انزاح إلى ميدان العلوم الإنسانية، فكيف تم توظيف هذا المفهوم في هذا الحقل المعرفي، وما هي صورة هذا التوظيف؟ وكيف تم تطويع مفاهيم التواصل؟

5-1-اللسانيات والتواصل :

سنحاول أن نجر التاريخ اللغوي قليلا إلى الوراء، ونحن – لا شك-واجدون أن

التعبير بما هو خصيصة لغوية، مظهر من مظاهر التواصل، ولذلك فإن ابن جني حينما حد اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[13]، كان يومئ إلى شيء من ذلك، إذ إن الغرض كلمة جامعة تنصرف إلى معان كثيرة، ولعل التواصل هو عمود الصورة في هذه الأغراض، ولذلك لا يملك الباحث – أي باحث إلا أن يشايع لينز (Lyons) حينما تحدث عن اللغة بما هي وسيلة للتواصل فقال: "من البداهة أن نقول إن اللغة وسيلة للتواصل، فمن الصعب جدا أن نتخيل تعريفا كافيا شافيا لمصطلح لغة دون الرجوع بشكل أو بآخر إلى مفهوم التواصل[14].

إن التواصل من صميم العملية اللغوية وعليه يصبح من الواجب الحديث عن جهود علماء اللسانيات في إرساء مفهوم التواصل داخل حقل اللسانيات، وأول من نبدأ بهم اللساني سوسير .

أ-فردنان دوسوسير والتواصل:

إن من يتتبع تاريخ الكتابة اللسانية لدى سوسير، سيدرك أن الرجل قد طرح في أعماله كثيرا من الآراء والمشاريع حول مفهوم التواصل، على الرغم من أنه لم يتحدث بشكل صريح عن التواصل، وإنما أشار إليه في معرض حديثه عن ثنائية: لغة / كلام، وعما أسماه ب مدار الكلام"[15]، مقترحا لذلك خطاطة هي :

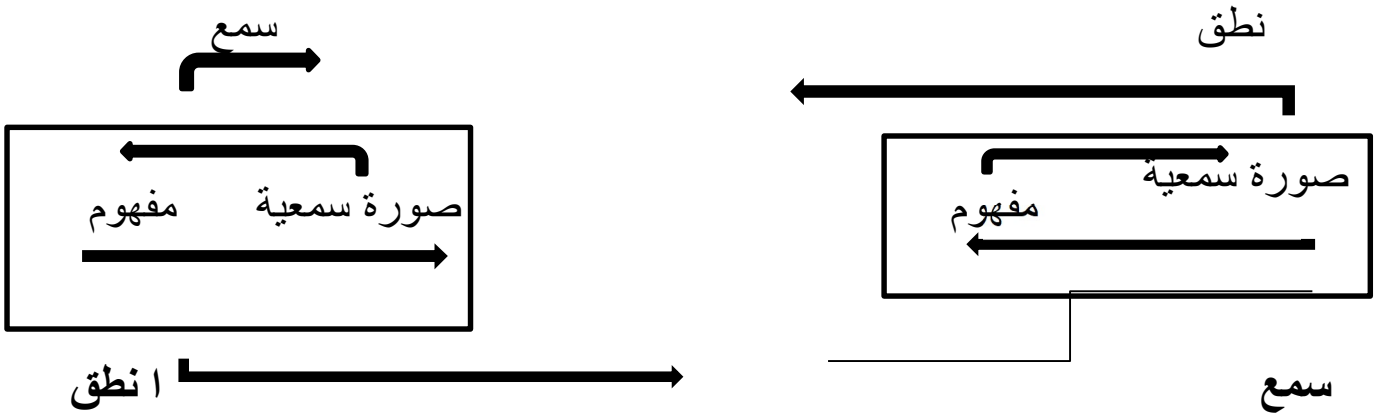

وغير خاف أن دورة الكلام تتجاذبها أجزاء فيزيائية، وأخرى نفسية، إلى أجزاء أخرى جانبية، ومن ثم فإن عملية التواصل تقوم على ثلاثة عناصر هي:

- العنصر النفسي: (الإصغاء / اللفظ / التصور والمفهوم
- السيرورة الفيزيائية: (الأصوات المنقولة عبر الهواء .
- السيرورة: العضوية (أعضاء النطق والسمع .

وعلى الجملة فإن جهود سوسير ظاهرة في ضبط العلاقات بين مكونات التواصل وعناصره وأدواته، لذلك وجدناه يميز بين اللغة والكلام واللسان ولكن ما ينبغي تسجيله أن جهود دوسوسير تركزت بالأساس على "اللغة" بما هي كيان ثابت ومستقل. وقد كان طبيعيا أن تجد

أفكاره هذه من يعارضها وينتقدها، وهو ما فعلته مدرسة كوبنهاجن التي رأت في اللغة مجرد شكل مستقل عن الجوهر، فقد سعت هذه المدرسة إلى توسيع وتطوير الثنائية السوسيورية فميزت في اللغة ثلاثة مستويات هي الهيكل والقاعدة والاستعمال[16]

لقد أصبح ثابتا لدى باحثين كثيرين أن سوسير كان من أوائل الباحثين الذين حاولوا وضع أصول لعلم التواصل، ففتح الطريق أمام الباحثين بعده لتطوير هذا المفهوم والارتقاء به إلى مستوى النظرية ولعل أهم من يبرز في هذا الصدد اللساني رومان جاكبسون. فما هي طبيعة هذه الإضافة العلمية التي أضافها الرجل؟

ب – رومان جاكبسون والتواصل

إذا كان جاكبسون قد دفع بنظرية التواصل أشواطا بعيدة إلى الأمام، فذلك لأنه حرص على أن يستفيد من أعمال مهندسي التواصل، ويطعم بها المفاهيم اللسانية. وبذلك يحق لنا – جميعا – أن نعد أعمال جاكبسون بمثابة جهاز استقبال تقاطعت فيه أفكار مختلفة، وتراحمت فيه نظريات متنوعة، فكان جديرا بأن تتميز أعماله عن سابقيه، بل إنها تشكل منعطفا حقيقيا في تاريخ نظرية التواصل يقول الباحث عمر أو كان في هذا الصدد: يتسم الحديث عن رومان جاكبسون بالغنى والثراء، وذلك راجع إلى أنه قد استفاد من مجموعة من النوادي الأدبية (حلقة موسكو اللسانية، جماعة اللغة الشعرية "الشكلانيون الروس"، حلقة براغ اللسانية)، ودرس في مجموعة من الجامعات (برين، كوبنهاغن، أوسلو، ستوكهولم، كولومبيا ،هارفارد معهد ماشسيوست التكنولوجي)، واشتغل في مجالات متعددة اللسانيات العامة الصواتية التحليل الأدبي، اكتساب اللغة، الأمراض اللغوية إلخ إلى درجة جعلته يصرح بأن كل ما يفصل بينهما هو لغوي ليس غريبا عن مجال اشتغاله [17]."

كانت هذه إشارة إلى الخلفيات المعرفية التي يرتكز عليها رومان جاكبسون، وإنه لخليق بمن يأوي إلى هذا الركن المعرفي الشديد أن يؤسس لمفاهيم صلبة وجديدة تبحث في قضايا الشعرية والنقد الأدبي، وكان أهم إنجاز طرحه الرجل هو خطاطته الشهيرة التي تعكس تصوره الكامل والشامل لمفهوم التواصل.

نعم، إن خطاطة جاكبسون سداسية الأبعاد، وهي :

–أ–المرسل : وهو منطلق الرسالة، في أي صورة تشكلت، سواء أكانت سمعية أم

بصرية، أم ذاتا أم آلة، أم عنصرا طبيعيا، أم سواها من الأشكال التواصلية .

ب –المرسل إليه وهو منتهى الرسالة .

ج المرجع وهو ما نتحدث عنه من موضوعات العالم .

السنن: وهو نسق القواعد التي يشترك فيها الباث والمتلقي، والذي به يتم فهم

الرسالة وتأويلها .

هـ–القناة: وهي التي تيسر التواصل بين طرفي الرسالة المرسل والمرسل إليه، إنها الجسر الموصل للرسائل .

و–الرسالة: وهي التي تجعل التواصل فعلا متحققا، ويمكن أن تأخذ أشكالا متعددة، لسانية أو سيميائية .

ويمكن أن نحدد هذه الأضلاع في صورة رسم بياني، وهو الكفيل بتقريب الصورة إلى الأذهان، وترتيبها ترتيبا منطقيا في الأفهام، أو ليست الصورة تعدل

ألف كلمة؟

سياق

مرسل---------- رسالة ---------- مرسل إليه

اتصال

سنن

وليس يجتهد الباحث كبير اجتهاد ليقول إن خطاطة رومان جاكبسون قد استوعبت كل العوامل المحققة لفعل التواصل، ولكل عامل من هذه العوامل وظيفة "لسانية مختلفة "[18]، تدور كلها حول وظيفة مركزية هي: التواصل .

والجدير بالذكر أن لكل عنصر من عناصر خطاطة جاكبسون وظيفة خاصة به وأولها :

-**الوظيفة التعبيرية** : ويطلق عليها أيضا الوظيفة الانفعالية هي وظيفة تتمحور حول المرسل (أو) (المتكلم) أي حول ذات التلفظ (أو) الذات المتحدثة) حيث يعبر فيها الباث عن موقفه تجاه الموضوع المتحدث عنه محاولا أن يعطينا انطباعا بانفعال معين (غضب، استغاثة، سرور إلخ) صادق أو كاذب، عن طريق التعجب أو عن طريق النطق (سريع، بطيء، مرتفع، منخفض، إلخ)، أو التنغيم والنبر[19]

-**الوظيفة الإفهامية**: ومدار الأمر فيها حول منتهى الرسالة، أي المرسل إليه،

وبواسطتها تأخذ الرسالة قيمتها التداولية.

الوظيفة المرجعية: وتسمى أيضا الوظيفة التمثيلية للغة، وتتمحور حول المرجع أو السياق. فهي تجسد العلاقة بين الدليل والموضوع الخارجي الذي نملك عنه صورة ذهنية ونفسية يسميها سوسيور بالتصور)، وتعتبر أهم الوظائف، إن لم نقل إنها الوظيفة الأساسية، باعتبار أننا نتحدث غالبا لنخبر ونبلغ ونعلم .[20]"

-**الوظيفة الانتباهية**: وتتعلق بقناة التواصل، وتهدف إلى إقامة "التواصل والحفاظ عليه أو حتى (قطعه)، والتأكد من اشتغال دورة الكلام، وإثارة انتباه المتلقي أو التأكد من انتباهه)[21]

ويحسن بنا قبل المضي في بيان هذه الوظائف، أن نشير إلى أن الوظائف الثلاث الأولى التعبيرية الإفهامية والمرجعية كانت من وضع بوهلر (Buhler)، ثم استدرك مالينوفسكي (Malinowski) الوظيفة الانتباهية وهي كلها وظائف تتعلق بما هو خارج لساني. ثم كان رومان جاكبسون الذي أضاف وظيفتين هما: الوظيفة اللسانية الواصفة وتدور حول السنن، وتلعب دورا هاما لدى المناطقة، وفي الحياة اليومية، وفي تعلم اللغة واكتسابها اللغة الأم أو اللغة الأجنبية). وهي تمارس في كل مرة يلجأ فيها أحد طرفي التواصل (المرسل أو المتلقي) إلى التأكد من

استعمالها السنن نفسه".[22]

-**الوظيفة الشعرية**: وتسمى الوظيفة الجمالية أو البلاغية، وتتمحور حول الرسالة إنها بعبارة أخرى النبرة الموضوعة على الرسالة لحسابها الخاص، حيث تعطي أهمية للدال موازية للمدلول أو متفوقة عليه"[23].

بيد أنه في صدد هذا الحديث عن الوظيفة الشعرية يجدر بنا جميعا أن ننبه إلى أن الوظيفة الشعرية "ليست الوظيفة الوحيدة لفن الكلام، فهي فقط الوظيفة السائدة والمحددة، بيد أنها تلعب في النشاطات الكلامية الأخرى دورا مساعدا ومتمما، وتتعمق هذه الوظيفة التي تظهر

بوضوح الناحية المحسوسة في الإشارات في التفرع الثنائي Dichotome الأساسي بين الإشارات والأشياء واللسانيات حينما تبحث كذلك في الوظيفة الشعرية فإن بحثها لا يقتصر على مجال الشعر فقط "[24]

ج– مارتيني والتواصل :

يعتبر أندري مارتيني André Martinet من مؤسسي الاتجاه الوظيفي في اللغة، وقد اجتهد في بناء مفهوم للتواصل واضح، فضمن بذلك لأفكاره قدرا طيبا من الذيوع والانتشار، وتنحصر وظيفة اللغة الرئيسية لديه في الإبلاغ. ولعل هذا ما يتضمنه قوله : " الوظيفة الرئيسية للأداة التي تمثلها اللغة هي وظيفة الإبلاغ.[25] ويتحدد لديه من خلال هذا مفهوم التواصل بقوله : " نقل تجربة هذا الشخص إلى ذلك[26] . وقد حرص مارتيني على تحقيق قدر من التميز عن جاكبسون، ذلك بأنه لم يحافظ على عناصر التواصل كما وردت عند شانون ويفر ، وأظهر ما يؤكد هذا لديه الجهاز الاصطلاحي فكلمة locuteur عند مارتيني يقابلها مصطلح Emetteur عند سابقيه، ومصطلح Auditeur لديه يقابل récepteur عند غير، كما نجد مارتيني أيضا يوظف كثيرا عناصر نظرية الإعلام، ويستعير الكثير من مصطلحاتها منها :الاحتمال La probabilité /والتردد La Fréquence / والكلفة Le Coat / والإطناب La redondance / ، والتشويش Le / bruitعلى أنه يكون أكثر اقترابا من جاكبسون حينما يتناول مفهوم الإعلام والعمل الأدبي [27]."

د إيميل بنفنست والتواصل:

تأثر إيميل بنفنست بمدرسة أوكسفورد (Oxford) الإنجليزية، وقد ألف كتابا عرض فيه جملة من آرائه في المجال اللساني عنونه ب: "قضايا اللسانيات العامةProblèmes de linguistique Générale / "، وتدور مجمل أفكاره حول اعتبار التواصل وظيفة اللغة الرئيسية وهدفها الأسمى .

وفي معرض حديثه عن الحوار، نجده يتناول الوظيفة الفاتيكية التي تقوم على ربط الاتصال بالشكل الذي عالجها به مالينوفسكي. ورغم أن بنفنست قد أفرد مساحة لا بأس بها في كتابه للحديث عن التواصل (مقدار) بابين من كتابه "فإنه لم ينهل من معين نظرية التواصل الغني، وإنما انكفأ على مناقشة مفاهيم سبقه بها أعلام آخرون من مثل سوسيور وفون ريش ومالينوفسكي ورولان بارت وغيرهم، لكن أهم شيء يمكن التنصيص عليه والإشارة إليه هو تبنيه للموقف الوظيفي للغة [28]."

ولم يتوقف الأمر عند بنفنست بل إن أفكاره وجدت ما يتبناها من الوظيفيين، من أمثال غوستاف كيوم Gustave Guillaume / الذي حاول أن يفرد وحدة خاصة في البحث اللساني عرفت بالبسيكونسقية[29] (Psychosystematique) أو ما يصطلح عليه بعلم النفس الميكانيكي الذي جعل اللغة مرتبطة بالفكر.

وقد شايعه في مذهبه هذا اللساني برنارد بوتيي Bernard Pottier الذي تميز بتركيزه على التواصل بما هو قطب الرحى في كل عملية لسانية .

خاتمة:

لقد حاولت في هذه الورقات أن أتتبع مفهوم التواصل بما هو انشغال علمي استقطب اهتمام علماء اللسانيات. وقد عرفنا أن هذا الاهتمام ولد يوم ولد لدى علماء هندسة الاتصالات ثم تلقفه عنهم علماء اللغة، وحرصوا على تطويره والارتقاء به لاستخدامه في البحث اللساني. والحق الذي يجب ألا يغيب عن الأذهان أن التواصل في أصل منشأه مطلب إنساني وجد لإقامة جسور التفاهم والحوار بين الأطراف المتواصلة، ومن ثم فهو شكل من أشكال تنظيم الوجود الإنساني .

إلا أن علامة من الاستفهام تلوح في هذا المقام وتلح في طلب الإجابة هي: هل يمكن أن نجد جهودا أخرى لدى علماء السيمائيات في تطوير مفهوم التواصل؟ وهل حاول نظراؤهم من التداوليين إغناء هذا المفهوم بالبحث والإثراء؟

الهوامش:

[1] – معجم مقاييس اللغة،6/115-116 (مادة وصل)

[2] – لسان العرب، وصل

[3] – الأسس المعرفية والنظرية لمفهوم التواصل –مقالة بقلم: حميدي محمد بمجلة مكناسة العدد: 15 السنة 2005 ص: 115

[4] - << IL y a communication lorsqu'on émet ou reçoit des messages et lorsqu'on donne une signification aux signaux d'une autre personne. Toujours, la communication humaine est déformée par les parasites, se produit dans un contexte, a un certain effet et comporte une possibilité de rétroaction.>«

Joseph, A. Devito : les fondements de la communication humaine, p:5.

[5] – ما التواصل جان كلود، مارتان ضمن مجلة، علامات عدد 21، السنة 2004، ص: 44 .

[6] – Joseph. A. Devito : les fondements de la communication humaine, p: 5

[7] – العبارة والإشارة – للدكتور محمد العبد ص :14

[8] –التواصل: المفاهيم والقنوات – مقال للدكتور بناصر العزاتي – ضمن كتاب المفاهيم واشكال التواصل– تنسيق مفتاح وأحمد بوحسن –– ص:18

[9]–المرجع نفسه ص: 26

[10] – نظرية التواصل – جونيفييف شوفو – ترجمة إبراهيم، أو لحيان، مجلة فكر ونقد، العدد 36، السنة 4، ص: 121 .

[11] – المختارات الشعرية إدريس بلمليح، ص: 20 .

Philippe Breton et serge Proulx : La découverte de la communication p :1

نقلا عن مجلة علامات ص:8.

[12]

[13]- الخصائص، ابن جني 33/1.

[14] -Lyons: Eléments de sémantique, p: 33.

[15] – نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، بقلم: محند الركيك بمجلة علامات عدد 24، السنة 2005، ص :65

[16] – مفاهيم الشعرية حسن ناظم، ص: 52

[17] – اللسانيات والتواصل مقال للأستاذ عمر أو كان بمجلة فكر ونقد، العدد 36، السنة 2001، ص: 104 .

[18] – قضايا الشعرية رومان جاكبسون، ص: 17.

[19] – اللسانيات والتواصل مقال للأستاذ عمر أو كان بمجلة فكر ونقد، العدد 36، السنة 2001، ص: 141، ينظر أيضا العبارة والإشارة للدكتور محمد العبد، طبعة دار الفكر العربي، ص: 43 .

[20] – اللسانيات والتواصل، مقال للأستاذ عمر أوكان بمجلة فكر ونقد، العدد 36، السنة 2001، ص: 142

[21] – نفسه، ص: 142 .

[22] – نفسه، ص: 142 .

[23] المرجع نفسه. وللمزيد من التوسع تنظر رسالة الأستاذ نور الدين رايض – رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب فاس (1992 – 1993) ص: 117 وما بعدها – ينظر أيضا كتاب للدكتور محمد العبد بعنوان: العبارة والإشارة – ص:43. حيث يقول بأن جاكبسون أضاف ثلاث وظائف هي: الوظيفة الشعرية والوظيفة التعاملية والوظيفة اللسانية الواصفة .

[24] – نظرية التواصل واللسانيات الحديثة – رسالة جامعية (د.د. ع) من انجاز الطالب نور الدين رايض – مرقونة بكلية آداب فاس (1992–1993) ص: 119

[25] – مبادئ اللسانيات العامة – مارتيني – ت.د. الحمو – ص: 13

[26] André Martinet -langue et fonction -page: 36

[27] – نظرية التواصل واللسانيات، نور الدين رايض، ص: 139.

[28] – نفس المرجع السابق، ص: 145 .